منظمـــة الصحـــة العالميـــة

جمعية الصحة العالمية الثالثة والخمسون
البند ٤ من جدول الأعمال

ج٥٣/ متنوعات/٦
١٦ أيار/ مايو ٢٠٠٠
A53/DIV/6

وزراء الصحة بوصفهم سلفا صالحا

بيان الدكتور ويليم فوغي، الأستاذ بمدرسة رولنز للصحة العمومية، أتلانتا، جورجيا، وكبير مستشاري مؤسسة بيل وميليندا غيتس، الولايات المتحدة الأمريكية

جنيف، الثلاثاء، ١٦ أيار/ مايو ٢٠٠٠

مقدمة

أمضت زوجتي سنين طويلة في تعليم الأطفال في سن الرابعة فأصبحوا معينا للحكم والحكايـــا علـــى مر السنين. ومن المحببين الى نفسي المعلم الذي يتحدث الى الأطفال ذوي السنوات الأربع فـــي اليـــوم الأول لدخولهم المدرسة شارحا لهم القواعد التي عليهم الالتزام بها. وآخر التعليمات المعطاة أن يرفعـــوا أيديـــهم اذا احتاجوا الى الذهاب الى دورة المياه. وسأل أحد هؤلاء الأطفال وهو في حيرة بالغة "ولكن ما فائدة ذلك؟" وأنـــا أسألكم اليوم "ما فائدة عملنا جميعا في مجال الصحة العالمية؟"

ففي احدى السنوات ألقيت محاضرة بعنوان "كيف نظل متمتعين بالصحة؟" علـــى تلاميـــذ زوجتـــي. وسألت عما اذا كانت هناك أية أسئلة، وسألتني طفلة عمرها أربع سنوات قائلة "هل للأطباء رؤساء في العمل؟" وأردت أن أترسم خطاها فكانت اجابتي بعد بعض التفكير نعم فرؤساء الأطباء الجيدين هم مرضاهم."

هل لوزراء الصحة رؤساء في العمل؟ ان الجيدين منهم يكون كل شخص في بلدهم رئيسا لهم. ولكـــن المسألة لا تنتهي عند هذا الحد. وذلك أنكم تضعون أساسا للمستقبل، وبكل معنى الكلمة أن كل شخص يولد فـــي بلدانكم في المستقبل هو رئيسكم في العمل.

لقد كان أرنولد توينبي على خطأ عندما كتب أننا "سنذكر القرن العشرين أكثر ما نذكـــره لا كعصـــر للنزاعات السياسية والاختراعات التقنية وانما كعصر جرؤ فيه المجتمع البشري على التفكير في صحة الجنـــس البشري برمته باعتبارها هدفا عمليا."

فقد كان هذا العصر بالأحرى عصر نزاعات سياسية واختراعات تقنية وعلاوة على هذا فاننا أنهينا القرن العشرين بفجوات وتناقضات وتفاوتات في مجال الصحة تجعلنا نشعر بالحيرة والارتباك.

اننا نجتمع هذا الأسبوع لا لمجرد تحسين تدبير أمور الصحة العالمية واقامة الروابط لاستعراض التقدم الذي أحرزته برامجنا الصحية .... بل نجتمع لتبين كيفية تضييق هذه الفجوات والتأكيد من جديد على فلسفتنا كمهنيين صحيين. فهذا الجوهر يقوم على التزامنا بالاستفادة من المعارف والخبرات التي تجمعت على مر العصور في تحسين نوعية حياة *كل فرد* دون استثناء. ان أساس عملنا وعقيدتنا المهنية وسبب وجودنا في مراكز الثقة التي تجيئ بنا الى هذا الاجتماع هو السعي الى تحقيق العدالة الاجتماعية في مجال الصحة.

لقد أتينا لنطلق العنان لأحلامنا ... بعالم لن نراه البتة ولكنه عالم سنوجده نحن.

الشوط الذي قطعناه

منذ نصف قرن مضى بدأ أسلافكم في المهنة هذه الاجتماعات السنوية. فهل كان بامكانهم أن يصدقوا ما حدث على مدى السنوات الثلاث والخمسين التالية؟

- لقد ارتفع متوسط العمر المتوقع عند الولادة خلال هذه الفترة أكثر مما ارتفع على مدى ٤٠٠٠ عام في أماكن عديدة ... ولكن ليس في جميع الأماكن.
- واختفى مرض واحد هو الجدري.
- وانخفض معدل وفيات الرضع بنسبة تتراوح بين ٥٠٪ و٩٠٪ في معظم البلدان ... ولكن ليس في كل المجموعات.
- ولم يعد فيروس الحصبة أشد العوامل فتكا في العالم. وهذا يبين في الوقت ذاته قدرة لقاح غير باهظ التكلفة ولكن يظهر أيضا تردد مؤسسات الصحة العمومية في الاستفادة التامة من هذه القدرة. والا كيف نفسر وفاة نحو ٣٠٠٠ شخص يوميا نتيجة مرض يمكن توقيه بهذه السهولة؟
- هل كان بامكان أولئك المهنيين تصور الحيلولة دون وفاة ملايين الأطفال بسبب الاسهال وتجنيب والديهم فاجعة فقدان طفل آخر.
- هل كانوا سيصدقون أن شلل الأطفال ودودة غينيا على وشك الدخول في زمرة الحواشي التاريخية؟

اننا ننوه بتلك الانجازات بينما نواجه حقيقة لا مناص منها هي أن .....

المشاكل مازالت مروعة

اذ لم يواجه وزراء الصحة البتة حقبة أصعب من هذه الحقبة. فمرض الايدز عدو أفظع حتى من الموت الأسود نفسه. فقد أتى ذلك الوباء ورحل بعد أن حصد الأرواح بالجملة وأعاد تنظيم المجتمع، ولعله توفي في عامي ١٣٤٨ و١٣٤٩ وحدهما ربع سكان أوروبا. وكان من بين هؤلاء موظفون حكوميون وملاك

أراض وتجار وكنسيون. فعلى سبيل المثال مات في عام واحد ما يزيد على ٥٠٪ من أساقفة الكنيسة الكاثوليكية. ولكن بعد ذلك أعاد السكان تنظيم صفوفهم مثلما يحدث بعد الهزات الأرضية أو أية كارثة طبيعية أخرى.

ولكن الأمر يختلف فيما يخص مرض الايدز. فالمشكلة مستمرة يوما بعد يوم. وما من فرصة لاعادة تنظيم الصفوف من جديد حيث ان العاملين الصحيين والمعلمين والموظفين الحكوميين يموتون بوتيرة أسرع من أن تتيح تعويضهم مما يضعف نسيج المجتمع. وتكافح الجدات لابقاء أحفادها مع بعضهم البعض لكن تواجههن المهمة المستحيلة وهي تدبير تكاليف الغذاء والملبس والدراسة. وطالما أدرك الكثيرون منكم أن مرض الايدز في بلدانكم يشكل قضية أمن قومي. وها قد بدأ العالم يدرك ذلك الآن.

واذا كان مرض الايدز لا يشكل تحديا كافيا فلنضف الى المزيج السل والملاريا وسوء التغذية وداء كلابية الذنب وداء الخيطيات اللمفي والديدان المعوية وضحايا الاصابات والعنف ومشاكل الصحة النفسية والفقر والأمية؛ واذا كان كل ذلك غير كاف لجعل المسؤولين الصحيين يقرون، فلنضف اليه مشكلة تتسبب في وفيات أكثر مما يتسبب فيه السل، مشكلة ليست من صنع الطبيعة وانما من صنع أناس على استعداد للتسبب في معاناة غيرهم في سبيل تحقيق أرباح من ترويج التبغ، وبهذا تجدون أمامكم في النهاية عقدة المشكلات المرضية التي لا يدرك كنهها سوى قلة في هذا العالم. انكم أبطال هذا العصر. هل ناء كاهلكم بوطأة الأعباء؟ أجل. ولكنكم لم تهزموا.

لقد قال الكاتب ف. سكوت فيتزجيرالد ذات مرة أن "آية الفكر الألمعي القدرة على الاحتفاظ بفكرتين متعارضتين في الذهن في آن واحد ....، وهذا وضع مستحيل، وها هو الحل الذي سنتغلب به عليه".

وهكذا فانكم في خضم هذا الوضع المستحيل، تبادرون الى تقييم الأصول والأدوات التي تحت تصرفكم وتخلصون الى أن هذه الجمعية لم يسبق لها، كمجموعة، أن واجهت مشكلة مستحيلة كهذه، وفي الوقت نفسه لم يسبق أن توافرت لكم هذه القدرة على تغيير مستقبل الصحة في العالم الى الأبد.

ونحن نتطلع الى الطريق الذي أمامنا – ما الذي يعطيكم الأمل؟ العلامات الايجابية ايجابية للغاية.

١- أدوات أفضل

- هل كان بامكاننا في بداية حياتنا المهنية أن نصدق أنه سيكون لدينا لقاح غير باهظ التكلفة ضد شلل الأطفال والفرصة لتجنيب كل جيل قادم هذه المشكلة؟ فلايزال بعضنا يتذكر هذا اليوم قبل ٤٥ سنة عندما أعلن أن لقاح Salk يحمي من الاصابة بشلل الأطفال.

- أو لقاح الحصبة ... الذي يحول دون وفاة ملايين الأطفال كل عام.

- أو لقاح التهاب الكبد باء – وهو أول لقاح فيما سيصبح مجموعة من اللقاحات المضادة للسرطان.

- ولقاح الانفلونزا النزفية باء – وهو لقاح مبهر في ازالة الالتهاب السحائي والالتهاب الرئوي من حياة الأطفال. وقريبا، ومن خلال التحالف العالمي من أجل اللقاحات والتمنيع، سيمكن اتاحته للبلدان التي كانت مستثناة من ذلك في الماضي بسبب سعره.

- هل كنا نتخيل وجود الناموسيات المشبعة الفعالة البسيطة؟
- أو كنا نتخيل وجود نظام اداري متكامل خاص بأمراض الطفولة؟
- هل كان بامكاننا أن نفهم أننا سنتداول الآن مغذيات دقيقة فعالة وغير باهظة التكلفة للحد من وفيات الرضّع وزيادة القوة وتحسين معدل الذكاء؟
- هل حلمنا أن يجيئ وقت تنضم فيه الشركات الصيدلانية الي معركة مكافحة الأمراض في البلدان النامية عن طريق اتاحتها بعض الأدوات مجانا؟
- هل تخيلنا أن شركة ..Merck Drug Co، تمنح كمية من عقار الميكتيزان قيمتها ٤٠٠ مليون دولار أمريكي على مدى الاثني عشر عاما الماضية؟
- أو أن تقدم شركة Glaxo-Wellcome ما تبلغ قيمته ٣٠ مليون دولار أمريكي سنويا من عقار المالارون، وهو عقار جديد مضاد للملاريا، لاستكشاف كيفية استخدامه بأنجع طريقة وللوصول الى من يحتاجونه بغض النظر عن قدرتهم على تحمل تكاليفه؟
- أو أن تقدم شركة Smith Kline Beecham عقار ألبيندازول في مسعى الى فعل شيء في النهاية بخصوص داء الخيطيات اللمفي؟
- أو أن تقدم شركة Pfizer عقار الزيتروماكس لمكافحة داء التراخوما؟
- واتفاق خمس شركات صيدلانية الآن على تقديم خصوم كبيرة على أسعار الأدوية المفيدة المضادة لمرض الايدز؟

٢- من أجل تنظيم أفضل

نحن هنا اليوم لأننا نعلم أننا نستطيع مجتمعين القيام بأشياء أفضل مما يمكننا القيام به بمعزل عن بعضنا البعض. ونحن اذا آثرنا أن نكون عالميين فاننا بذلك نؤثر مساعدة بلداننا في واقع الأمر. لقد كان أينشتاين يذكّرنا دائما بأن القومية انما هي مرض طفولي، وكان يعتبر أنها بمثابة الحصبة التي تصيب الجنس البشري. وقد تعلمنا أن تعزيز قدرتنا على ايجاد حلول للمشاكل التي تأتي بها الأمراض أمر ينطوي على المفارقة نفسها التي نواجهها في تقوية أنفسنا ... أي أن استقلالنا كشعوب وبلدان يتحقق من خلال الاعتراف بالترابط.

واذا ما أدركنا ذلك على حد قول غاندي فاننا سنسعى الى الترابط بنفس الحماس الذي نسعى به الى الاعتماد على الذات.

وها قد بدأنا اليوم ندرك، بعد مرور ٥٠ عاما، كيف ننظم صفوفنا على المستوى العالمي للارتقاء بقدرتنا على النهوض بالصحة. فعلى سبيل المثال، فان منظمة الصحة العالمية حين نظمت صفوفها لاحتواء الملاريا في آخر مرة، استبعد جل القارة الأفريقية لما بدا من الصعوبات الهائلة هناك، ولكن في هذه المرة لم

تتخذ الدكتورة برونتلاند والدكتور نابارو موقفا يعتبر أي مكان، أيا كان، ينطوي على صعوبة هائلة، وبالفعل استهلت مبادرة "دحر الملاريا" في أفريقيا باجتماع رؤساء الدول في نيجيريا واعلانهم ما نصه "اننا ملتزمون".

وهذا يحيلنا للحديث عن العلاقة الايجابية الثالثة ...

٣- زيادة الاهتمام السياسي

ان المسألة لا تقتصر على مبادرة "دحر الملاريا". ان رؤساء الدول قد برهنوا على اهتمامهم والتزامهم فيما يتعلق بمكافحة الايدز والقضاء على دودة غينيا وبصحة الطفل ومكافحة داء كلابية الذنب وبمجموعة من المشاكل الصحية. ويعمل بالفعل اثنان من رؤساء الدول السابقين على القضاء على دودة غينيا في مالي ونيجيريا. وهذا يمثل في حد ذاته موردا جديدا، فلنغترف من معينه.

وثمة رئيس دولة سابق، هو الرئيس جيمي كارتر، ما انفك يقضي ساعات لا تحصى ولا تعد للنهوض بالصحة في أفريقيا، حيث يجمع الأموال حينا، ويزور مواقع تنفيذ البرامج حينا آخر، مع استئجار العاملين من أجل القضاء على دودة غينيا، والعمى النهري، وداء الخيطيات اللمفي ومن أجل التغذية واستئصال شلل الأطفال.

ان القادة السياسيين في جميع أنحاء العالم يبرهنون على الاهتمام الجديد بالصحة. وهذا الأمر بدوره يعطينا قوة جديدة.

ونحن نشهد أيضا ...

٤- الفهم الجديد لدور الصحة في مجال التنمية

- التقرير الخاص بالتنمية في العالم، الصادر عن البنك الدولي سنة ١٩٩٣، والذي يصف بايجاز دور الصحة في مجال التنمية.

- ونحن نرى مقالات متكررة تعنى بهذا الموضوع. وهو ما يضع بدوره تحديا جديدا أمامنا لكي نبين أن كل دولار يستثمر في هذا المجال له مردود.

- وبدأ وزراء المالية يتحدثون صراحة عن قيمة الاستثمار في مجال الصحة وفي الولايات المتحدة الأمريكية يعمل وزير الصحة ووزير المالية سويا من أجل تعزيز الجهود العالمية الخاصة بالتمنيع.

- ونحن، كعاملين صحيين، نبرز هذه المسألة منذ وقت ولكننا نفتقر الى جهة مرجعية نستند اليها. والآن اكتشف عالم الاقتصاد هذه العلاقة، *فلنتخذه* سندا.

٥- التحالف الجديد

ان منظمة الصحة العالمية تزداد قوة بفضل تحالفات خارج هيكلها المعتاد تشارك فيها أو ترعاها، في بعض الأحيان.

- فقد جمعت عملية توزيع دواء المكتيزان (Mectizan) عشرات المنظمات غير الحكومية ومجموعات المهام الطبية والمؤسسات ووزارات الصحة بالاضافة الى منظمة الصحة العالمية واليونيسيف والبنك الدولي، وشركة .Merck Drug Co، في تحالف جديد أقامته سويا بهدف مشترك هو علاج المصابين بداء كلابية الذنب. وقد أتاح هذا التحالف العام الماضي دواء مكتيزان لقرابة ٣٣ مليون شخص.

- ويشكل داء الخيطيات اللمفي الدافع على اتباع تنظيم مماثل يجمع شركة Merck وشركة Smith Kline Beecham.

- ويمثل التحالف العالمي من أجل اللقاحات والتمنيع محاولة طموحة لتنظيم مجموعات القطاعين العام والخاص حول هدف آخر ألا وهو تمنيع الأطفال.

- ويتشكل التحالف العالمي لاستحداث أدوية السل من أجل استحداث أدوية جديدة لمشكلة مرضية قديمة.

- وتستمر القائمة لتشمل أدوية الملاريا. والمسألة هنا تتمثل في أن مستقبل الصحة العمومية لن يظل قائما على الأسس التنظيمية المعتادة فحسب. فالمنظمة تزداد قوة بدعم الجهات القادرة على اقامة التحالفات حول هدف مشترك.

ويوجد أمام مبنى منظمة الصحة العالمية تمثال لصبي يقتاد رجلا أعمى بواسطة عصا يمسك بها كل منهما. وهذا التمثال على درجة عالية من الرمزية. انه يرمز الى داء كلابية الذنب ولكنه يرمز أيضا الى النسيج الاجتماعي الذي يعطي الأمل.

ويمثل ذلك الرجل بالطبع شخصا مصابا بالعمى ولكنه بالنسبة لمن يتعلق عملهم بالعمى النهري لا يكاد الأمر يتطلب قدرا من الخيال لرؤية ما أصاب جلده من غلظ وتغير، ويمكن أن تدركوا الرغبة في حك الجلد التي هي أول ما يفكر فيه في الصباح وآخر ما يفكر فيه في الليل. ويبين ذلك الصبي الذي يمسك بطرف العصا ويتقدم الرجل النسيج الاجتماعي الذي يشد بنيان المجتمع. فهذا الصبي يستثمر في مستقبل مجتمعه كما يستثمر في مستقبله هو الآخر. لأن هذا الصبي يعاني بالفعل من داء الخيطيات الذي بدأ يدب في جسده، فهو يشعر بالفعل بالرغبة في حك الجلد التي يشعر بها من يعاني هذه الحالة البائسة. وهو يعلم بحق أنه سيجيء عليه اليوم الذي يمسك فيه بالطرف الآخر من العصا. ولكنه بفضل هذا التحالف لن يؤول به الأمر الى هذا المآل.

ان ذلك التمثال الموجود أمام مبنى منظمة الصحة العالمية ليس الوحيد من نوعه حيث يوجد تمثال مثله أيضا في مركز كارتر (Carter Center) مما يبين أن التحالف يضم الدوائر غير الحكومية ويعتمد عليها.

ويوجد تمثال ثالث من هذا القبيل في رواق البنك الدولي. فقد اختار البنك الدولي هذا الرمز دون سواه ليضعه في هذا المكان رمزا للاستثمار في مجال الصحة وللاستثمار في التحالف.

ولا يقف الأمر عند هذا الحد. فهناك تمثال رابع من هذا القبيل يوجد في رواق المقر الرئيسي لشركة Merck. وهذا التمثال هو الأصل في واقع الأمر وهو أول ما نصب من هذه التماثيل. وتحيي الشركة زوارها

في الرواق بتمثال يحيي ذكرى دواء لا يتربح من استخدام البشر له. ان في هذا الرمز مثلا بليغا عن الأسلوب الجديد الذي ينبغي اتباعه في العمل في مجال الصحة العالمية.

٦- النجاحات

- لم يقتصر الأمر على تحقيق نجاحات عالمية فحسب في مجال القضاء على الأمراض وانقاذ أرواح الأطفال، فهناك نجاحات وطنية مثل نجاح أوغندا وتايلند في الحد من معدل انتقال فيروس العوز المناعي البشري، وهذا أمر يعطي الأمل ليس على صعيد البلدان التي حققت ذلك فقط ولكن أيضا على الصعيد العالمي.

- ان هذه النجاحات ان دلت على شيء فانما تدل على أن كل برنامج عالمي لدينا هو امتداد لنجاح تحقق على الصعيد الوطني أو المحلي. وهذا ينطبق على استئصال الجدري وشلل الأطفال، ومكافحة الملاريا والعمى النهري وعلى التمنيع ومكافحة أمراض الاسهال.

٧- تزايد الموارد

- لقد اعتدنا على المصادر التقليدية التالية.

  - الاشتراكات الوطنية في منظمة الصحة العالمية واليونيسيف.

  - البرامج الصحية الثنائية.

  - مؤسسة روكفلر.

  - مجموعات المهام الطبية.

  - منظمات توفير الخدمات، مثل منظمات "CARE" و"Plan International" و"أنقذوا الأطفال" (Save the Children) و"الرؤية العالمية" (World Vision)، وغيرها.

وسنكون لها شاكرين على الدوام.

- غير أن المصادر التقليدية المتاحة تضم الآن مجموعة جديدة وحميدة...

  - منظمات غير حكومية لايحصى عددها.

  - نادي الروتاري الدولي الذي جمع حتى اليوم مايزيد على ٤٠٠ مليون دولار أمريكي لاستئصال شلل الأطفال.

  - مؤسسة "George Soros" التي تخصص مئات الملايين من الدولارات لتحسين مستوى الصحة.

- مؤسسة الأمم المتحدة التي تقدم سنويا ١٠٠ مليون دولار أمريكي خلال عقد من الزمان.

- شركات Merk وGlaxo-Wellcome وSKB وPfizer وشركات صيدلانية أخرى تكرس في الوقت الحاضر المزيد من الموارد لصالح الصحة العالمية.

- والآن ... مؤسسة "بيل وميليندا غيتس" التي تقدم في الوقت الحاضر مايفوق توقعات أي شخص من الموارد في مجال الصحة العالمية. فهي مؤسسة ضخمة مكرسة من أجل "الانصاف الصحي العالمي" ومستعدة لاستثمار مايزيد على ٥٠٠ مليون دولار أمريكي في السنة لتضمن استفادة الأطفال في جميع أنحاء العالم من التقدم العلمي الذي يوفر الآن الحماية للأطفال في البلدان المتقدمة وتحفز كذلك اجراء البحوث في مجال الأدوات الصحية وايجاد حلول لمشاكل الفقراء في البلدان الفقيرة.

وفي مجال الصحة العالمية لم يسبق أن جمعت الموارد من مصادر عامة وخاصة على هذا النحو.

"كيف استخدمت ثروات العالم المتراكمة في الماضي؟"

فمنذ آلاف السنين استخدم الاسكندر الأكبر الموارد المتراكمة لتعزيز قوته العسكرية.

وبعد ذلك شهدنا ثروات هائلة تستثمر في جميع أنحاء العالم في تشييد الحصون والقلاع.

ومنذ ألف سنة شهدنا ظهور موجة جديدة من الابداع في علم العمارة بفضل تحسين الأدوات ومواد البناء. وكانت تستثمر آنذاك الموارد التي تقدمها الكنائس والأسر الملكية والطوائف في بناء الكاتدرائيات التي كان يستغرق استكمال بعضها مئات السنين. وكان الحرفيون الذين يحشدون لبنائها يدركون أنهم لن يشهدوا أبدا اتمام تشييدها الا أنه ليس هناك مايبين تردي نوعية عملهم من جراء ذلك. وبالمثل أنا وأنتم نستثمر في أعمال ستؤتي ثمارها في المستقبل.

وقد شهدنا عبر القرون استخدام الموارد في بناء الجامعات الكبيرة في العالم.

ثم ساهمت الموارد المتراكمة في تزويد عصر التجارة بالسفن والشركات التجارية، والشركات المتعددة الجنسيات.

وفي الآونة الأخيرة، استخدمت الثروات في بناء الكاتدرائيات الحديثة... والمراكز الطبية في البلدان الصناعية.

أما الآن فنحن نستثمر للمرة الأولى موارد هائلة في مجال الصحة العالمية. والفرصة متاحة أمامنا لتشييد نوع جديد من الكاتدرائيات ... أي الكاتدرائيات الافتراضية ... وهي كناية عن الجهود المبذولة في مجال الصحة العالمية ويجري تحسين الأدوات المستخدمة وتعزيز التنظيم والموارد. فهل سيكون المهندسون العماريون والبناؤون والمديرون والعمال الحاضرون في هذه القاعة على مستوى هذه المهمة؟

هل ستضطلعون بهذا الدور القيادي حتى يصبح من المنطقي بالنسبة للآخرين أن يحذوا حذو مؤسسة بيل وميليندا غيتس؟ وهل ستشكلون حركة قوية وتلتفون حول الدكتورة برونتلاند في اطار منظمة الصحة

العالمية البالغة القدرة وضمن هيكل صحي متين بحيث يروى تاريخ هذه الحركة الصحية الجماعية في كليات الطب ومعاهد الصحة العمومية خلال العصور القادمة؟

ويقال عادة انه يجب اللجوء الى وزراء المالية لأنهم يمسكون بمقاليد الأمور الا أن تحريك الأمور يقع على عاتقكم أنتم وزراء الصحة، فتحسين مستوى الصحة أمر يرجع اليكم.

"ولا يمكن السماح بوجود عالم يكون نصف عدد سكانه من الأصحاء والنصف الآخر من المرضى".

وتجتاز كل حركة علامة فاصلة في طريقها. وهناك نقطة يفيض عندها الكأس انها اللحظة التي تصبح فيها علاقة الصداقة علاقة دائمة؛ عندما يوفر لقاح ما حماية من مرض ما بالفعل.

وسيحين الوقت الذي لاتقتصر فيه عبارة "لايمكن السماح بوجود عالم يكون نصف عدد سكانه من الأصحاء والنصف الآخر من المرضى" على كونها عبارة جميلة بل تصبح التزاما فعليا بحيث لايمكن الرجوع عنه "ويجرؤ العالم وفقا لما جاء على لسان توينبي على التطلع الى توفير الصحة للبشرية جمعاء كهدف من الأهداف العملية". وقد تحين تلك اللحظة في أي وقت في المستقبل بل لعلها تأتي اليوم مع انعقاد جمعية الصحة العالمية لعام ٢٠٠٠. وسيقتضي الأمر منا تحديد الاهتمام بالقياس وتحديد الثغرات وتقييم التدخلات والتركيز على النتائج بصفة دائمة.

وأنا أحكي لطلبتي قصة رجل أبلغته قارئة الطالع أنه سيكون فقيرا معدما وتعيسا جدا حتى سن الخامسة والأربعين. وتعلقا بهذه القشة سألها قائلا "وماذا سيحدث حين أبلغ الخامسة والأربعين؟" فقالت له "ستصبح معتادا على هذه الحالة". ان مهمتكم كقادة للصحة هي ضمان عدم اعتياد أي فرد على وجود الفجوات في مجال الصحة، وعدم الاعتياد مطلقا على المعاناة ولا الموت المبكر ولا الفقر ولا الأمية بلا داع. وعدم اتاحة الفرصة لاعتياد رؤساء الدول ووزراء المالية ومن يحتلون مراكز قيادية ومن يعهدون اليكم بتحسين الأمور على التشاؤم والسخرية أو الجبرية. كونوا عاملين صحيين محترفين ومتفائلين محترفين أيضا.

وفي عام ١٩٣٢، قال لنكولن ستيفنس "ان مايسري على التجارة والسياسة يسري بصورة مبهرة على المهن والفنون والحرف والعلوم ... وأفضل لوحة هي التي لم ترسم بعد وأعظم قصيدة هي التي لم تغن بعد وأقوى رواية هي التي لم تكتب بعد." ونحن اليوم نردد أن أروع الاسهامات الصحية لم تتخيل بعد حتى اليوم، وأبرع الحلول لم نتوصل اليها بعد.

وختاما اسمحوا لي أن أسألكم:

هل تفضلون لو كنتم من بين وزراء الصحة الذين أسسوا هذه المنظمة قبل ٥٣ عاما حيث لم يكن هناك لقاح لشلل الأطفال ولا لقاح للحصبة ولا علاج فموي يداوي من الجفاف؟ أو أنكم تفضلون أن تكونوا هنا اليوم مع كل هذه المشاكل التي تواجهنا؟

هل كنتم تفضلون حتى أن تكونوا جزءا من جمعية الصحة العالمية لعام ١٩٨٠ وتسروا لاعلانها استئصال الجدري مع عدم وجود عقار الميكتيزان المضاد لداء كلابية الذنب ولا وجود نهج متكامل بشأن أمراض الطفولة ومع تحقيق تغطية تمنيعية نسبتها أقل من ١٠٪؟ أم أنكم تفضلون التواجد هنا اليوم؟

هل تفضلون لو كنتم جزءا من جمعية الصحة العالمية لعام ١٩٩٠ وعلى وشك المشاركة في مؤتمر القمة العالمي بشأن الطفل ولكن دون الانتشار الواسع النطاق للقاح المضاد لالتهاب الكبد "باء"، ومع اتباع نهج غير متماسكة بخصوص المغذيات الدقيقة وعدم توافر مثال على عكس معدل انتقال مرض الايدز في أي بلد أفريقي ولا وجود أي علاج واعد مضاد لداء الخيطيات اللمفي ولا أية مشاركة كبيرة للشركات الصيدلانية في حل مشاكل الصحة العمومية هذه، ولا وجود أية مؤسسة الأمم المتحدة ولا مؤسسة بيل وميلندا غيتس؟ أم أنكم تفضلون التواجد هنا اليوم؟

لم تكن هناك فترة أفضل من الآن. فالمقومات اللازمة موجودة. ومن الضروري اقامة التحالفات وتوافر القيادة، والاستلهام والتفاؤل. والعمل الشاق هو النظام اليومي، ولكن اذا كنتم على استعداد أنتم ورؤساؤكم في العمل ... فان الأشخاص الذين تخدمونهم ... الذين لم يولد معظمهم بعد سيعتبرونكم مثل بناة الكنائس العظام ... وسلفا صالحا. وشكرا لكم.

= = =